خواطر وملاحظات

من الواجب على الجمهور أن يحافظ على صحته ، وهذه المحافظة على الصحة واجب يلحق الأسرة فى البيت و يطلب من تاجر الأغذيه فى السوق ، وفيما عدا ذلك تبقى المحافظة على الصحة العامة مهملة حتى تتداركها عناية الله ، أى حتى تمد عناية الله يدها فتحرك المسئولين عن هذه الصحة العامة حركة لا يتخللها سكون ولا يقطعها نوم طويل .

وفى أكداس القوانين واللوائح تنظيمات لو أنها نفذت على النحو الذى وضعت له لكان أثرها فى الإصلاح الصحى عظيما ، ولكن حظها من التنفيذ يميل أبدا الى المعنى الأدبى ، يعنى أنها نصوص يقرؤها الناس فيعجبون بها إعجابهم بالكلام الحسن فى بابى الشعر والنثر ، واليك قليلا من الأمثلة لتقيس عليه الكثير مما تعرفه .

* * *

الذباب :

من مخلوقات الله المؤذية ، تصفه السلطات الصحية بأنه شر الأعداء ، وتذكر من عداوته أنه يحمل ميكروبات الأمراض المهلكة فيلوث بها كل شىء يقع عليه ، وتقول فى مقام النصح والتحذير إن خطره أشد من أن يستهان به .

وقد يستطيع كل أحد أن يقيم الحواجز والسدود دون هذا العدو الدائم العداوة فلا تفلت منه طائرة إلى داخل البيت ، ولكن الناس جميعا لا يستطيعون أن يمنعوه من الشوارع كما لا يستطيعون أن يمنعوا من الشوارع تلك الأشياء التى تستدعيه إلى نفسها وتغريه بالسقوط عليها وتدخر لجيوشه مؤونة لا تنفد .

وفى الطبقة الدنيا من الناس أشخاص لم تبلغهم دعوة الحياة ولا دعوة الحياء ، لا يخجلون — والشمس طالعة — أن يلقوا على الطريق أو على جوانبه تحت الجدران فضلات البطون ، ولا يخزيهم أن يعودوا صغار أبنائهم هذا العمل القبيح فأيما أدركتهم ضرورته قضوها حيثما كانوا .

وهناك آخرون من هذه الطبقة — من صغار التجار والباعة الجائلين وأرباب البيوت أيضا — يهون عليهم أن ينثروا فى الطريق أوساخ الكناسة ونفاية الطعام وكل متعفن من الفضلات .

وفى كل طريق تسلكه بين الأحياء الحقيرة تبقى عينك متنقلة من منظر امرأة تبيع فاكهة متعفنة إلى منظر رجل يبيع الحلوى ممزوجة بالتراب متنقلة بالذباب .

والناس فى بيوتهم لا يأمنون أن يفاجئهم الذباب بغاراته الجوية ، كما لا يأمنون أن يفاجئهم بهذه الغارات فى أى طريق سلكوه ، وهو مسلح بأسلحة الهلاك مما ادخرت أقذار الطريق ، وليست للوقاية منه وسيلة معروفة ، فلا كامات ولا خنادق ولا متاريس مشبعة بالزيت أو الماء تسدل على الأبواب والشبابيك ، لا شىء من هذا ونحوه بمستطاع ، بل ليس مستطاعا أن يعرف وقت غاراته بصفارة الإنذار !..

وفى القوانين واللوائح ما يمنع إلقاء الأقذار فى الطريق العام ، وفيها ما يحرم التبرز على قوارع الطرق وفى جوانبها ، وقد جعل تنفيذ هذا المنع من حق السلطة الصحية وحدها ، ولكن اللوائح والقوانين نائمة عن هذا المنع لأن أصحاب هذا الحق كرام متسامحون !..

* * *

غش اللبن :

يقول لك الطبيب : لا غذاء لمريضك العزيز غير اللبن ، ولو كنت تعلم أن اللبن المراد هو لبن العصفور لذهبت تبحث عن العصافير التى تدر لبنا يشربه مريضك العزيز ، ولكن الطبيب يريد لبن الجاموسة والبقرة ، وأنت لا تجد هذا اللبن إلا ماء ونشاء وأشياء أخرى غريبة ، فلا تملك إلا أن تخضع لحكم البائع والبائعة فيما يكيلانه من إنائهما ، وأمرك وأمر مريضك إلى الله ، فقد أصبح لبن البقرة والجاموسة أعز من لبن العصفور ! ...

امسكوا هذا ، حلقوا على هذه ، صادروا ما معهما من اللبن المغشوش ، خذوهما إلى دار البوليس ...

رأيت رقباء الصحة يفعلون ذلك مرة واحدة ، لا فى أطراف المدينة كلها ، بل فى طرف واحد منها ، ثم ماذا ؟... انقطع الخبر وانطمس الأثر ، وبقى تجار اللبن وباعته يغشونه كما شاءوا !

والقوانين واللوائح تريد من سلامة اللبن ما لا يريده هؤلاء الغاشون ، ولكن إذا لم يكن للوائح والقوانين ما تريد فليكن لهؤلاء الغاشين ما يريدون .

أما المرضى الذين لا غذاء لهم عند الطبيب غير اللبن ، فعليهم أن يختاروا إحدى الموتتين ، فإما أن يموتوا جوعا أو يموتوا بهذا اللبن المغشوش !

السمك الفاسد :

انتشرت فى بعض الأحياء الغاصة حوانيت لبيع السمك يذهب إليها الفقراء فيأخذونه وهو أشد برودة من الثلج الذى خرج منه .

فاذا امتحنت هذا السمك وجدته يابسا تحت الجس ، ورأيت عينه كالحة واكنها جامدة ، ثم إذا ذهبت ببوسته تحت الشمس والهواء ظهرت حقيقته ، فاذا هو منهرئ شديد الفساد.

وهناك باعة جائلون يحملون من هذه الحوانيت ومن سوق السمك أيضا ما يبقى بعد البيع عرضة للبوار ، ثم يطوفون به الأحياء البعيدة عن قلب المدينة أو الأحياء الفقيرة البائسة ، فلا يزالون يصيحون بمدحه ووصف جماله حتى يفرقوه بين المشترين سما زاعقا .

وتقوم حوانيت السمك الفاسد فى عمران المدينة لا فى فضاء القفر ، وتجاور فى سوق السمك الكبيرة المعروفة لا فى مقالب الزبالة البعيدة عن العمران ، وأريد أن أقول إن هذه وتلك تقع تحت أنف الرقابة الكريمة ، والعجب أن رائحتها الفياحة تجذب اليها أنوف المغشوشين بها ولا تجذب اليها أنف هذه الرقابة .

ونكبة الصحة العامة بالسمك الفاسد نكبة يومية ، فالتفتيش عليه يجب أن يكون يوميا ، ولكن هل هو كذلك ؟

لا ، بل فلتبق النكبة به يومية ، وليكن التفتيش مرة واحدة كل شهر ، فقد يبقى التجار والباعة فى انتظار هذه المرة الواحدة على حذر فتخف النكبة قليلا أو كثيرا ، وتظفر النار بطعامها من السمك الفاسد كل شهر مرة .

لا تشكون لعاذل أو عاذر ... حاليك فى السراء والضراء

فلرحمة المتوجعين غضاضة ... فى النفس مثل شماتة الأعداء

محمود سامى البارودى

من خانه الحظ خانته صنائعه ... وعاد ذنبا له ما كان إحسانا

ولا ترى الناس إلا حرب مضطهد ... وجالبين على المخذول خذلانا

أحمد شوقى